مهارات في تعليم اللغة العربية

أ. د. عامر نايف الهيتاوي
كلية الشرق الأوسط
Humamamer2000@gmail.com
أ.د. مهدية صالح حسن
كلية الشرق الأوسط
mahdiasaleh6@gmail.com

Middle East University College Skills in Teaching the Arabic Language

Prof. Dr. Amer Nayef Al-Hitawi
Middle East College

Prof. Dr. Mahdiya Saleh Hassan
Middle East College

الملخص باللغة العربية

تعد اللغة العربية في طليعة عناصر تكوين الانسان ومقومات وجوده وهي كما هو معلوم مؤسسة اجتماعية يتميز بها الانسان عن سائر المخلوقات، وتتألف اللغة من منظومة أصوات ذات دلالات بها يتمكن من التواصل والتفاهم مع افراد المجتمع كما قال عنها العالم العربي ابن جني: (أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم).

الكلمات المفتاحية: الطفل – اللغة – أصوات -تعليم.

Abstract

The Arabic language is at the forefront of the elements that shape human and the foundations of his existence. As is well known, it is a social institution through which human beings are distinguished from all other creatures. Language consists of a system of meaningful sounds through which communication and understanding among members of society become possible. The Arab scholar Ibn Jinni described it as “sounds by which

•**Keywords** : Child – Language – Sounds

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

اللغة بوصفها أصوات يعبر بها الانسان عن أغراضه تعد في طليعة عناصر تكوينه ومقومات وجوده، واللغة مؤسسة اجتماعية يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات تتألف من منظومة أصوات ذات دلالات بها يتمكن من التواصل والتفاهم مع أفراد المجتمع (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[1] كما جاء في تعريف ابن جني. وبفضل اللغة يتمكن الانسان من تلبية حاجته إلى مخاطبة الاخرين، والذي يعيش بمفرده معزولا عن أبناء جنسه دون أن يراهم ويسمعهم يغدو أبكم بعيداً عن التسمية الإنسانية، من هنا فاللغة تبعا لطبيعتها الاجتماعية حصيلة تراكمات تاريخية وموروثات اجتماعية وثقافية ضاربة الجذور في حنايا الماضي فهي على هذا الاساس هوية الامة وعنوان شخصيتها وحاضنة تراثها ووعاء فكرها، وما الكلمات إلا أوعية للأفكار، ونحن في واقع الامر نفكر في شؤون عيشنا من خلال أدوات الفكر واللغة. من هنا فعلى أساس اجتماعية اللغة فإن الانسان منذ ولادته يكتسب اللغة اكتسابا ممن حوله، من أمه وأبيه وأسرته والأقربين من أهله ومدرسته.

المبحث الاول: دور الاسرة في تعليم اللغة العربية:

اللغة التي هي مجموع الاصوات والرموز والا شارات ... هي الالفاظ التي يعبر بها الناس عن مشاعرهم وحاجاتهم وأفكارهم، وأداة للاتصال والتواصل في حياتهم، ووسيلة أصيلة لمعالجة شؤون مختلفة كالبحث والتحليل والنقاش.

انها نظام مجرد لكل ما هو مادي ومعنوي، ما يعني ان أي شعب يستعمل اللغة ليعبر بها عما يؤمن به ويشعر ويعتقد ويفكر، فهي وسيلة لبلوغ أهداف ووظائف يرغب فيها المرء. سواء أكانت منطوقة، او مكتوبة، أو اشارة، أو رمزا أو رسماً أو نحتاً. فالطفل يشكل عالم اللغة الخاصة به من المفردات التي يتعامل معها في محيطه ليكون مفاهيم محدده تعبر عن إرادته ومشاعره وأفعاله، فهو مثلا

إذا لم يستطع ان يتسلق شجرة فانه يستخدم شيئاً وسيطا للارتفاع ولكل من هذه وتلك محددات لغوية خاصة، ما يعني ان اللغة صورة طبيعية موازية لاستخدامها، أي ان اللغة تدل على عقل إنسان ما وسلوكه وهي ضرورة اجتماعية.

ان اللغة العربية التي يتعلمها الأنسان العربي منذ الطفولة تعد الجسر الذي يصل بين الاجيال في الماضي والحاضر والمستقبل واللغة تنمو بنمو القدرات الذاتية للإنسان وترتقي بارتقاء علاقاته الإنسانية والثقافية والاجتماعية ما يعني ان الحاجات في الوسط الاجتماعي والثقافي والعلمي تعد أبرز مصدر لأهداف التعليم لتنمية المهارات اللغوية استماعاً وتعبيراً وقراءة وكتابة وقبل ذلك نطقا كما هو عند الطفل[2].

من هنا فان الطفولة المبكرة تعد المرحلة الزمنية المهمة في تعليم الطفل مهارات اللغة العربية حتى تنبض روحه في لغة أمه وذويه (فالطفل الذي يتوغل في المجتمع يزداد دور اللغة عنده وتزداد خبرته، أي ان اتصال الطفل المباشر بالأشياء والناس وتفاعله معهم يمده بذخيرة من الخبرات العملية الشخصية المباشرة وتلك الخبرات تساعده على فهم المعاني دون أن يدرك اللفظ وفهم المعاني للألفاظ كونها وسيلة نحو المدركات المسببة والقدرات العقلية لدى الافراد)[3] ولعل مهارات تعلم اللغة العربية تبدأ مع بداية عمر الطفولة ثم تستمر في مراحل العمر الأخرى حتى تكتمل لغة الطفل واليافع في المؤسسات التعليمية.

ان الإنسان ليس كائنا بسيطا إنه في حقيقته مخلوق بالغ التعقيد، واللغة في طليعة عناصر تكوينه ومقومات وجوده. وقد ألهمه الله جل وعلا اللغة ليميزه عن باقي المخلوقات وليتعارف فيما بينهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] والتعارف بين الناس عبر اللغة التي عرفها علماؤنا بانها بأنها ((أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم))[5].

والذي يعيش بمفرده بعيدا عن البشر ولن يراهم ويسمعهم يغدو ابكم بعيداً عن سمة الإنسانية.

وأولية اللغة لها نظريات عديدة ولسنا بصدد بحثها إنما نقول: إن الله جل وعلا الهم الإنسان الأول تعلم اللغة ليتعارف مع غيره من البشر فقال جل وعلا: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ))[٦].

وأمرنا الله جل وعلا بتعلم القراءة فقال جل شأنه:

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[٧]

ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أوصانا لنتعلم اللغة فهي لساننا وهويتنا وبها نزل القرآن الكريم فقد أوصى الأسرى أن يعلم كل واحد منهم الذي يعرف القراءة والكتابة عشرة من المسلمين.

واللغة عنوان شخصية الأمة العربية وحاضنة تراثها ووعاء فكرها وما الكلمات إلا أوعيه للأفكار وتأسيسا على اجتماعية اللغة فإن الإنسان يكتسبها منذ

ولادته اكتسابا مما حوله ولا سيما الأقرب إليه, أمه وأبوه والأقربون من أهله بعبارة أخرى فإن الطفل الرضيع أول ولادته يصرخ وهو تعبير عن الحياة ولذلك فإن الأمهات يرين في الطفل الذي لا يصرخ في اول ولادته بأنه مريض وصراخ الطفل (صوت) له دلالة لغوية لا يفهمها إلا الأم ،وهو عندما يخرج إلى الدنيا التي تختلف عن محيطه الذي كان فيه يشعر بالخوف وكذلك الجوع ،فصراخه تعبير يطلب الأمن والغذاء وعندما تضمه أمه إلى صدرها يشعر الأمان ثم يأخذ الحليب، من هنا فإن الطفل الرضيع مع مرور الأيام يرضع اللغة من فم أمه كما يرضع اللبن من ثديها، ومن هنا سادت المقولة الذائعة لغة الأم. وتتجلى هذه الحقيقة، أي اجتماعية اللغة في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[٨] وبعد قرون صدر هذا المضمون عن المفكر الفرنسي (جان جاك روسو)[٩] حيث رأى أن الإنسان يولد كصفحة بيضاء وأن هذه الصفحة. تمتلئ بعد ذلك بما يرفدها من محيطه الاجتماعي من خير وشر ان الطفل يبدأ مع تقدم أيام عمره يتعلم اللغة من أمه، فهو يسمع الأصوات حين تناغيه أمه بمفردات اللغة، وإلى ذلك أشار الشاعر أحمد شوقي حين خاطب أم الطفل وبين لها ان طفلها[١٠]

كالببغا في قفص قيــل له فقلدا

يأخذ ما عودتـه والمرء ما تعودا

وصفوة القول أن الطفل في بواكير مخزونه اللغوي كالإسفنجة تمتص ماحولها أو كالمرآة تعكس ما أمامها، وأن صراخ الطفل عند الولادة كما يقول داروين هوأول صورة يعبر بها عن نفسه ،وكأنه يؤكد وجوده في هذه الدنيا ثم يلي لذلك إكثاره من الحركات بيديه ورجليه تعبيرا عن ارتياحه وسروره أو عن خوفه وتضايقه وجوعه، وهي لغة لا فرق ما دمت القصد النداء أو التنبيه وتصحب ذلك كله المناغاة المعهودة التي تؤكد حيويته، وكلها أصوات عفوية ترهص بما سوف يصدر عنه من أصوات عفوية، هي لغته التي يتواصل بها مع أمه وأبيه والذين من حوله،

ولكن ما الصوت الأول؟ أو ما طبيعة الحرف الرائد الذي صدر عن الطفل الوليد بعد صرخة الولادة.

وفي علم النفس الطفل كما يرى علماء النفس واللسانيات إن ما فطر عليه الرضيع في مناغاته لأمه حين يلفظ المقطع الصوتي (ما) أو(مو) أو (مام) أو (ماما) إنما هو أصل إطلاق تسمية الأم على هذا الكائن الإنساني الذي هو الوالدة منذ الأزل وعلى اختلاف الأماكن وتباين الأقوام واللغات والملاحظ أن هذا الجذر (م) مشترك في فصيلة اللغات السامية القديمة حيث توجد فيها كلمة (أم) العربية و(أيما) الآرامية وايم العبرية، وكذلك يطلق على الأم بالفارسية (مادر) وفي الألمانية (موتر) وفي الإنجليزية (ماذر) وفي اللاتينية (ماتر) التي سرت إلى البرتغالية والإسبانية والإيطالية (ما دري) والفرنسية (ماتر) والجذر نفسه في اللغات السلافية. ففي الروسية (مات) والبولندية (ما تكا) وفي الأرمينية (ماير) فالجذر المشترك مجردا عن النوافل التي قد تظهر أو تختفي وهي السوابق والأصل الغالب لهذا الجذر(م) في سائر لغات البشر.

ان الطفل الرضيع حين ينطق مبكرا بالمقطع (ما) أو المقطع المكرر (ماما) فهو إنما ينادي أمه وأن هذا المقطع الصوتي الشفوي بعيدا عن التأثر والاكتساب أو التلقي، إنما هو ظاهرة كما يرى علماء النفس فيزيولوجية طبيعية قوامها محاكاة لألية الرضاعة (امتصاص الحليب من ثدي الأم، وفم الطفل في البدء لا أسنان فيه ولما يكتمل الجهاز الصوتي وليس له إلا أن يزم شفتيه أو يفرجهما مقلدا آلية امتصاصه لثدي أمه، وإذ ذاك يكون قد لفظ حرف (م) وهو الاسبق نطقا في فم الإنسان من بين سائر حروف اللغة وهو الأسهل نطقا حتى إن بعض الحيوانات قادرة على النطق به .بعد ذلك بما يرفدها من محيطه الاجتماعي من خير أو شر[١١]. ووصف باحث حال الطفل في بواكير مخزونه اللغوي أشبه بإسفنجة تمتص ما حولها، أو كمرآة تعكس ما أمامها، وإن المجتمع الحقيقي للطفل هو المنزل [١٢].

وإذا كانت اللغة أصواتاً قبل كل شيء, فان صراخ الطفل كما يقول داروين هو أول صورة لغوية يعبر بها عن نفسه[١٣]، فاللغة كما يرى الجاحظ قد تكون بالإشارة أو الحركة[١٤]، وتصحب ذلك المناغاة المعهودة التي تؤكد حيوية الطفل كل ذلك إشارات عشوائية وأصوات عفوية ترهص بما سوف ينبثق من فم الطفل بعد حين من أصوات بل حروف ذات دلالة ومعنى يسعى بها الى التواصل المنشود مع أمه وأبيه والذين حوله من أهله وذويه.

من الفم – ولعل سهولة نطق حرف الميم تجعل بعض الحيوانات كالغنم والماعز قادرة على النطق به (ماع) وهذا الامر قد لفت انتباه الجاحظ حين قال: (فأما الغنم فليس يمكنها أن تقول إلا (ماع))[١٥]

ثم يقول بذكاء لماح: (والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الاطفال كقولهم (ماما وبابا) لانهما خارجان عن عمل اللسان، وإنهما يظهران بالتقاء الشفتين)[١٦].

والطفل في إفتعاله هذا الصوت – المقطع (ما) إنما هو محاكات حالة سابقة قوامها فتح وإطباق يطلب استحضارها، أو صوت يود إسترجاعه بقصد الشبع والري من ثدي امه.

والملاحظ ان الجذر (م) m المشترك في سائر لغات البشر مجردا عن النوافل التي قد تظهر أو تختفي وهي السوابق واللواحق، هو الاصل الغالب والاساس الوطيد لهذا اللفظ (أم)، ففي اللغات السامية توجد فيها كلمة (ام) العربية و(ايما) الآرامية و(ايم) العبرية، وكذلك في الفارسية (مادر) والالمانية (موتر) والانجليزية (ماذر) واللاتينية (ماتر) ...[١٧].

إن لفظ الام إنما هو إختراع متفرد لا نظير له بين سائر الالفاظ في لغات البشر, وقد أنجزه الطفل منذ الازل كمحاكاة لفعل الرضاعة, وما هذه المحاكاة سوى شكل آخر لظاهرة المحاكاة الاشمل التي تقويها بعض نظريات نشوء اللغة, أي محاكاة الإنسان البدائي لإصوات الطبيعة من حوله ,ومن أمثلتها في اللغة العربية (خرير الماء وحفيف الشجر ونقيق الضفدع...الخ) والحرف (ب) هو شقيق (م)

على صعيد الحروف الشفوية المتجانسة, وهو أيضا من أيسر حروف الهجاء, ولعل النطق بحرف الباء هو ما يفسر أيضا وجوده في عدد من اللغات السامية واللاتينية للدلالة عل الاب مثل (أبا) الآرامية و (أب) العبرية (وباتر) اللاتينية و (بابا) في البنغالية....الخ, يقول الجاحظ: الميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الاطفال (كقولهم :ماما, بابا)[١٨].

ويتصاعد دور الاسرة والمجتمع في تدرج أصوات الطفل مع تنامي أعضائه وتكامل جهازه الصوتي، فنجده ماضيا على نهج المحاكاة تجاه العديد من المحسوسات من حوله، فهو يخترع له لغة خاصة به، فذكر الجاحظ إنه: (قيل لصبي من أبوك؟ فقال: (وَو وَو) لإن أباه كما علق الجاحظ – كان يسمى كلبا[١٩]، ولعل هذا الطفل قد سمع صوت الكلب لكنه لا يعرف إسمه، وهذا ما نلمسه لدى أطفالنا حين يعمدون الى لفظ المقاطع – الكلمات – (عو) على الكلب و(نو) أو (مو) للقط و (ماع) للخروف و(كوكو) للطائر.

ومن هذا المنطلق يأتي دور الام والاسرة والمربية في التوسع في إكساب الطفل عددا من المفردات عن طريق الربط بين الحرف والصورة والصوت. وكان العالم اللغوي المعروف (ديوي) قد عنى بطريقة قرن الكلمة بالشيء وصورته في تعليم الأم لطفلها وذكر إنها عندما تصطحب إبنها في نزهة فتضع فوق رأسه شيئا وهي تقول له (قبعة) ثم بتكرارها ذلك على مسمعه ومرآه عندئذ يكتسب لفظ القبعة معناه لدى الطفل، ومثل ذلك يمكن أن يتم عن طريق الإحساس اللمسي والبصري.

وبوسع الام والاسرة أن تتوسع في تعليم الطفل مزيدا من الكلمات ذات الدلالات المرتبطة بالحواس, كأن تريه تفاحة أو برتقالة أو ورقة أو كأسا, قارنة رؤيته لهذه الاشياء بلفظها أيضا على مسمعه تكرارا[٢٠]، وكل ذلك يرتكز الى ظاهرة الاستحضار التي تبعثها الذاكرة مما سبق إختزانه من المعاني, وعندئذ يكتسب الطفل دلالة اللفظ عن طريق القرن, أي التذكر, فعلى سبيل المثال حرف (أ) يراه

الطفل مجسما ويسمعه منطوقا وبجانبه كلمة أرنب مكتوبة ومنطوقة وصورة لهذا الحيوان بالوان جميلة, وهكذا حرف الباء وبجانبه بقرة وصورة للبقرة... الخ[٢١].

المبحث الثاني: جهود المؤسسات التربوية الداعم في تعليم اللغة العربية.

إن الطفل هو أساس الانسان، يكتسب اللغة بالسماع وهو المعول عليه، والطفل بطبيعته نزوع الى محاكاة مايسمع، بل إن خير سبيل لإمتلاك سلامة النطق وصحة اللفظ وفصاحة التعبير معايشة أهل اللغة وإستقاؤها من منبعها وخير منبع التواصل مع النصوص المختارة بسماع أحاديث الفصحاء من معلمين وخطباء وقراءة كتابات الادباء من قصص وأشعار ومقالات وعندئذ يمكن أن تتم عملية التعليم والتعلم بالآتي:

١. الحرص على غرس حب القراءة بشكل عام لدى الطفل ويتأتى ذلك بتوجيهه الى مطالعة الحكايات والاقاصيص, والانسان ميال بطبيعته الى سماع الحكايات على لسان أمه وجدته منذ نعومة أظفاره وهذا يتيح للأهل والأسرة تمرير الكثير من الكلمات والعبارات الصحيحة والسليمة الى الطفل عن طريق القص, وبذلك تزداد لغته ثراء وعليه يبرز دور الأسرة والمجتمع في ضرورة توخي إنتقاء القصص والحكايات الملائمة للفئة العمرية, وتكون مشوقة قادرة على إغراء الطفل وجذب إهتمامه و إثارة خياله, ولاسيما إذا كانت على ألسنة الحيوانات المألوفة لديه من طيور وقطط وثعالب والإلتفاف الى العناصر الطبيعية ومحاسنها من غابات وأزهار وجبال وأودية وأنهار وبحار, وفي طور تالٍ من العمر يمكن إختيار قصص أغنى في مضمونها وتناولها, مثل قصص الرحلات والمغامرات كرحلات السندباد وعلي بابا, وفي مرحلة أخيرة يحسن توجيه الطفل الى قراءة سير عظماء التاريخ من قادة وأبطال ومخترعين وقصص الملاحم والبطولات, كل ذلك يحسن به أن يكون شائقا مشفوعا بالصور والرسوم والالوان, وهذا بات متوافرا في المكتبات, فالاهم إختيار الاسرة والمعلم لما يلائم الطفل من هذه القصص والكتب

التي من المفترض أن تتصف بعنصر التشويق الذي يدفع الطفل للقراءة والإكتساب, فيتشرب الطفل قدرا من الكلمات والعبارات وجماليات الاسلوب, وإستمتاعه في الوقت نفسه بطرافة المضمون وحلاوة القص, مما يسهل تنمية الميل الى الكتاب وغرس عادة القراءة المنهل الاسمى لتعلم اللغة.

٢. تشجيع الاطفال في مرحلة القراءة من الفئة العمرية الى قراءة قصائد مختارة من الاشعار التي تتسم بالبساطة واليسر فضلا عن مضمونها الشائق، بحيث تسوغ له وتؤدي بعد ذلك الى تشربه كلماتها وعباراتها بلغة فصيحة، على أن أجدى الاشعار والخطب الاشعار التي تتسم بقصر الوزن وسهولة العبارة وطرافة المضمون، وفي منأى عن غريب الالفاظ وعويص المعاني. وجدير بنا في هذا الصدد أن نستمد شذورا من خفائف الاشعار التي نظمها بعض شعرائنا الكبار على سبيل الفكاهة كقول بشار وهو يداعب جارته التي يشتري منها البيض كل يوم وهي إمرأة بسيطة فهبط الى مستوى عقلها وفهمها[٢٢]:

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسـن الصوت

ومثله في العصر الحديث الشاعر /أحمد شوقي/ المبدع في مجال الاطفال وقصائده ومقاطعه جديرة بالاهتمام من الاسرة والمربية لما تنطوي عليه من ثروة لغوية وإسلو بية سائغة للاطفال والاولاد ومن ذلك قوله[٢٣]:

هرتي جدا أليفة دمية البيت طريفة

وقوله يصور حنو الجدة على الحفيد[٢٤]:

لي جـدة ترأف بي أحنى علي من أبي
إن غضب الاهل علي كلهم لم تغضــب

ولابد للام والاسرة والمربية إعطاء الاشعار أنبلها ما تناولت حياة الحيوان في رحاب الطبيعة ومنها ما ينطوي على أرق مشاعر الود والالفة والشوق والحنين وحب الوطن وعلى لسان الطيور بقول مخاطبا الريح التي حملت هذه الطيور[٢٥]:

يا ريح ما أنت الس بيل وما عرفت ما السكن
هب جنة الخلد اليمن لاشـــئ يعدل الوطـن

وأيضا يجدر بالام والاهل دفع الاطفال لقراءة الاشعار ذات الروح الفكهة التي تدخل البهجة على نفوس الاطفال بقول شوقي [٢٦]:

سقط الحمار من السفينة في الدجى فبكى الرفاق لفقده وترحموا
حتى إذا طلع النـــهار أتــت به نحو السفينة مـوجة تتقدم
قالت خـــذوه كما أتــى سالما لم أبتلـــعه لإنه لا يهضم

لابد للأسرة والمدرسة أن تغترف العديد من طرائف الاشعار التي نظمها الشعراء الذين إهتموا بالطفولة وعلى ألسنة الحيوانات أو القصص: مثل الفأرة والقط والصياد والعصفور التي كتبها أحمد شوقي وثم مطولته سفينة نوح والحيوانات التي تتناول مشاهد على السفينة وفي هذا النص وأمثاله تتجلى حلاوة القص وعنصر المغزى وعذوبة اللفظ وسلاسة العبارة التي تتسرب بسهولة الى أذهان الاطفال

٣. تنهض الموسيقى والغناء بدور مهم في تعلم الطفل اللغة إذ إن الاغاني بما تنطوي عليه من تأثير معهود قادرة على الامتاع والجذب وإيصال كثير من الكلمات والعبارات الى الاذان، ومن هنا تتسم الاناشيد المدرسية بأقصى مردود لغوي وعاطفي بفضل أدائها وألحانها.

ومن بين ما نظمه الشعراء من قصائد غنائية قصيرة البحر عذبة الاسلوب ما كتبه الشاعر (سليمان العيسى) في مجموعته (ديوان الاطفال) قوله[٢٧]:

عصفور طلال شلال جمال
منقار أحمر ما أحلى وجناح أخضر ما أغلى

ومنه قوله[٢٨]:

بردى بردى نغم وصدى
ظلٌ ومدى عذب أبدا
بــردى بــردى

٤. إن اللغة تنشأ في حجر الامهات والمربيات لتصبح حقيقة ماثله داخل الذات الفردية والاجتماعية، فقد قيل منذ القدم (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) فاللغة صنو ثدي الأم ابتداءً من المناغاة وانتهاءً بمحاولة الطفل نطق بعض الحروف ثم الكلمات حتى يصل الى تركيب العبارة المناسبة لقدراته باللغة الأم الفصيحة بعيداً عن اللهجات الدارجة.

فالأسرة تصقل اللغة والنفس والاخلاق، وتقيم ضبطا عاليا للقيم والاعراف والعادات التي ينشأ عليها الاطفال والتفاعل اللغوي والثقافي داخل الاسرة يزرع بذرة الابداع في الطفل وهذا ما دعا العالم الالماني هاردر الى رؤيته التي ذهب فيها الى ان لغة الاباء والاجداد خزان عظيم من التقاليد والتاريخ والفنون والآداب لكل من يأتي بعدهم (والعلاقة بين الفن والمجتمع علاقة ازلية ... واخذت هذه العلاقة مكانتها من خلال وظيفة اللغة في تحقيق التواصل والترابط الاجتماعي بين افراد المجتمع)[٢٩]. ولا سيما أقربهم اليه الاب والام فسلوكهما يعد مثالا يحتذى به فهو ينقل الطفل من نظام المراقبة الى نظام ممارسة الضوابط والقواعد باللغة العربية الفصيحة والتقيد بأبنيتها كما وضعت، وعندما يكبر يكون مدعما فكريا ونفسيا بأصالة السلوك وعمقه للحفاظ على الوسط المحيد قال الشاعر [٣٠]:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ماكان عوده ابوه

وقال معروف الرصافي[٣١]:

ولم أر للخلائق من محل يهذبها كحضن الامهات
فحضن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين والبنات

فلغة الطفل تنمو شيأ فشيأ كما ينمو جسمه وعقله، ما يعني ان الثروة اللغوية والأسلوبية تنمو وفق المراحل العمرية ما يؤكد الرعاية الحثيثة للغة الطفل وتأديبه وتنشأته على حب القيم والوطن والامة وهويتها لغتها واعداده لحراسة تراثها وثقافتها.

فالطفولة المبكرة تعد المرحلة الزمنية المهمة في تعليم الطفل اللغة وتنشأته في بيئة مواتية صحيحة حتى تنبض روحه في لغة امه وابيه واخوته وكل من يتصل بهم. (فالطفل الذي يتوغل في المجتمع يزداد دور اللغة عنده وتزداد خبرته، أي ان اتصال الطفل المباشر بالأشياء والناس وتفاعله معهم يمده بذخيره من الخبرات العلمية الشخصية المباشرة. وتلك الخبرات تساعده على فهم المعاني دون ان يدرك اللفظ وتساعده على فهم المعاني للألفاظ التي يسمعها من الكبار. وتأتي اهمية المفردات اللغوية كونها (وسيلة نمو المدركات الحسية والقدرات العقلية ومستوى النضج العقلي لدى الافراد)[٣٢]. وهذا يستدعي التحدث عن الوسط التعليمي المبكر الذي يدخل الطفل ثم الطالب في تفاعل مستمر مع المواقف التي تمس حياتهم وهي اللغة التي هي الأداة التي يعبر بها عن حاجاته ومواقفه.

المبحث الثالث: أسلوب تنمية مهارات اليافع للغة العربية.

إن الكائنات الحية في الكون محكومة بقانون التطور، والتدرج سمة هذا التطور ويحدث ذلك في الطبيعة بالانتقال من البسيط الى المركب ومن الادنى الى الارقى، ويسري ذلك على الإنسان في تناميه جسديا وعقليا. ومن البديهي في البدء أن تعتمد الاسرة في تعليم طفلها مبدأ التدرج نطقا ثم كتابة، أي من البسيط الى المركب ومن الاسهل الى الأصعب وكالاتي:

١. تعليم الطفل الحروف وتمكينه من نطق أصواتها على خير وجه باعتماد أسلوب التدرج فإذا أخطأ في نطق الحرف عندما يتردد أمام أمه تعود وتصحح له نطقه حتى يعتمد النطق السليم إذ إن جهاز نطق الطفل مازال دون الاكتمال فلا يستطيع نطق الحرف بصورة صحيحة، وتستمر هذه العملية حتى يتكامل جهاز النطق وتصبح مخارج الحروف قادرة على نطق الحرف صحيحا.

٢. الانتقال بالطفل الى الكلمات بقصد تعريف الطفل على دلالتها ويتم ذلك بانتقاء الكلمات القريبة من محيط الطفل والتي لها علاقة بحياته ومحيطه الاجتماعي بنطق الكلمة وتعريفه على دلالتها اللغوية حتى تبقى راسخة في ذهنه.

٣. تمكين الطفل من لفظ المقطع ثم الجملة بالاعتماد على أسلوب التكرار، إذ إن جهاز التصويت لدى الطفل يكون في البدء غير قادر على نطق المقطع أو الكلمة بصورة صحيحة، فيكون دور الاهل هنا الترديد يمعنى التكرار في لفظ الكلمة أمامه حتى يتعود على النطق الصحيح لان الطفل كما ذكرنا قبل قليل كالببغاء إذا قيل له فقلدا.

٤. مساعدة الطفل على فهم الجمل والعبارات وإدراك العلاقة المعنوية بينها. وهذا يتم عندما يصل الطفل الى مرحلة متقدمة من العمر ويصبح قادرا على نطق الجمل والعبارات لكن عقله مازال في طور النمو، وهو بحاجة الى من يعلمه معنى المفردات والعبارات، وإدراك العلاقة المعنوية بين الالفاظ.

وهنا يبدأ دور الام أو المربية ومهارتها في عملية التعليم ومدى مراعاتها لتداخل هذه المراحل ككل لا يتجزأ، فتبدأ بتلقينه الحروف ثم الجمل لاحقا بمعنى الجمل الاسمية الاسهل (الوردة جميلة) (الجمل كبير) .... الخ.

وتتبع في ذلك تمرينات وتطبيقات لإثبات ما تنطق أمامه من جمل وإفهامه معناها ثم إثبات كلمة واحدة وترك فراغ مكان الاخرى بحيث يتاح للطفل ملء الفراغ باللفظ المناسب ثم كتابته وذلك تبعا لقدرة الطفل على الربط بين طرفي الجملة، وعلى هذا الغرار يتم المضي الى الجمل الفعلية (طلع القمر, هطل المطر, شرب الماء) ثم تلي هذه الخطوة خطوات أوسع قوامها تحفيظ الطفل آيات أو عبارات أو حكما أو أقوالا مأثورة أو أمثالا بحيث تتسم بالقصر والايجاز فضلا عن وضوح المضمون مثل قوله تعالى (الحمد لله, قل هو الله أحد) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم) أو أقوال العرب (لا تؤجل عمل اليوم الى الغد....

ونحو ذلك) وبعد سنة أو اثنتين بوسع الطفل أن يستظهر بعض أبيات الشعر المختارة الامر الذي يزيد مخزونه اللغوي.

قانون السماع والقياس في تعلم اللغة:

هذا قانون إتبعه العرب في تدوين اللغة العربية بمعنى تحديد أصالة اللفظ للكلمة العربية بقياسها مع الفاظ عربية أخرى وزنا وصوتا، أو إتباع السماع بمعنى كما سمع نطقها لدى العرب.

ولما كان الطفل مخلوق برئ يتصرف على الفطرة، ولهذا لا يعبأ كثيرا بالاعراف والمواصفات والمصطلحات، بل يستفتي نفسه، ولذلك تصدر عنه أحيانا أغلاط ساذجة، ولاسيما في الصيغ السماعية التي لاتنضبط ضمن قاعدة مطردة. فهو مثلا يستهل جمع المؤنث السالم المتمثل بكلمات مثل تفاحات وكاسات وورقات فيقول قياسا على ذلك في (قلم= قلمات) جمعا لقلم مع إن المفردة مذكر في المفرد؟

ومثله في جمع المذكر السالم فيقول: (كلبين) قياسا على (حلوين) وذلك في جمعه لغير العاقل (كلب) وهذه كلمة سماعية في جمعها لا تخضع لقاعدة فالطفل يضع كل ذلك لقاعدة واحدة مطردة على النحو المغاير لقواعد النحو العربي، وهذا سيتغير بمرور الزمن لان اللغة المعول عليه فيها نطقا وكتابة هو السماع [٣٣].

ولما كان السماع ملتحما بالنطق, بإعتباره الصوت هو القاسم المشترك بينهما, فقد غدا هو السبيل الى التعلم وإكتساب اللغة, فليس ثمة مناص بعدئذ من أن يعيش المتعلم في غمار وسط أسري وإجتماعي يقيم للعلم والفكر والثقافة وزنا, من مثل مدرسة أو معهد أو جامعة أو منتدى, وحينئذ تتاح للطفل مخالطة شريحة مستنيرة في مجتمعه والاستماع الى آرائها والتفاعل مع توجهها والانخراط في في نشاطها وإذ ذاك يغدو اليافع قادرا على أن يجد لنفسه موقعا في داخل المؤسسة الاجتماعية المتميزة التي آثر ألإنتماء اليها, كل ذلك يعني إن المجتمع هو المدرسة الكبرى لإكتساب المرء لغة قومه وإثبات حقيقة إنتمائه الى وطنه.

على إن التكوين اللغوي في عملية التعليم لايقتصر على السماع وحده برغم أهميته في البدء, فاللذاكرة البصرية فضل في رفد المتعلم الطفل بفيض عارم من الاحاسيس والمشاعر والمعارف, ولا يتأتى ذلك إلا من بعد إعتماد المتعلم على نفسه في منأى عن أبيه وأمه وأسرته والمعلم ويبتدئ هذا القصد بالانعطاف الى المطالعة الخارجية في عمر المدرسة أي قراءة ما يفيد ويمتع من الكتب وفنون القول المختلفة, وهنا لا تغدو الحاجة مقتصرة ئي المشافهة والسماع بل يتطلب الامر الانتقال الى إكتساب لغة المبدعين وتشرب أساليبهم بالبصر, وعندئذ تتجلى أهمية الذاكرة البصرية التي تتأتى شيئا فشيئا عن الذاكرة السمعية في مدى الفهم والاستيعاب, حتى تغدو فضيلة القراءة والمطالعة بالغة الجدوى لدى المتعلم حين يعمد في سبيل إغناء رصيده اللغوي والمعرفي الى تلخيص بعض مايروقه وفي نهاية المطاف بوسع المتعلم بفضل ما إكتسبه من مخزون لغوي وفكري أن يشرع في كتابة موضوعات إنشائية مختارة تتدرج من الوصف والسرد الى التعبير عن قضايا إجتماعية وثقافية ووجدانية يغلب عليها الخيال.

وحين يدخل اليافع المدرسة بمراحلها ويزداد مخزونه غنى وفضاء يتعين على المعلم توجيهه الى حفظ بعض القصائد المختارة لأبرز شعراء العرب في مختلف العصور وبذلك تزداد لغة اليافع ثراء بالألفاظ والمعاني والافكار وبلغة فصيحة.

إن المتعلم يعيش في غمار وسط أسري واجتماعي يقيم للفكر والثقافة وزنا فتتاح للطفل بعد أن يتحول الى المدرسة مخالطة شريحة مستنيرة في مجتمعه والاستماع الى ما يدور من كلام وينخرط في نشاط المدرسة، فيجد اليافع مكانا له في الوسط المدرسي بوصفها مؤسسة اجتماعية آثر الانتماء لها, وبذلك فإن ذلك يعني إن المجتمع الحاضنة للمدرسة بكل مراحلها هو المدرسة الكبرى لاكتساب الانسان لغة قومه وإثبات حقيقة إنتمائه الاجتماعي والوطني.

وينتقل الطفل في هذه المرحلة بالاعتماد على نفسه بعيدا عن الاسرة فيتوجه تلقائيا الى المطالعة الخارجية فيكتسب ثروة لغوية سيما إذا وجد توجيها نحو ما

ينمي اللغة الفصيحة ومما يسهم في تنمية لغة الانسان هو التعلم في المدارس وفق مناهج علمية متطورة إذ إن المنهج بعناصره المختلفة يعد عنصرا مركزيا في العملية التعليمية، ويحتل مكان القلب في الاستراتيجية التي تهدف الى تنمية اللغة وفق المنهج الحديث الذي لا يتحدد بالمفردات الدراسية بل بالخبرات التعليمية التي تحصل للتلميذ.

وبسبب التغير الكبير في مفهوم المنهج تغيرت أدوار المعلمين والمتعلمين والإدارة, وأصبحت خبرات المتعلم تتجاوز المعلومات والمفاهيم المضمنة في المقررات الى علاقات المتعلم المدرسية وزملائه وإدارة المؤسسة التعليمية الى جانب طرق التدريس والاساليب التي يستخدمها المتعلمون والنشاط المدرسي الذي يشارك فيه المتعلم في إكتساب اللغة ((فالمنهج يعتبر المدرسة بيئة خاصة تمثل الحياة لحقيقية المتكاملة بصورة مبسطة منقحة تنمى لدى التلميذ أثناء حياته فيها مكونات السلوك المختلفة التي تثري حياته وتمكنه من المساهمة في تطوير مجتمعه))[٣٤] أوعلى هذا الاساس فإن منهج تعليمك اللغة هو ((العملية التي توضح حاجات المتعلمين اللغوية وتنظمها وفق الاولويات))[٣٥] عليه فإن الحاجة تبدو ماسة لتطوير مناهج تعليم اللغة العربية, لانها اللغة القومية وهي المكون الرئيس للهوية.

النتائج:

توصل البحث الى النتائج الاتية:

١. تلعب الام والاب والأسرة دورا مهما في إكساب الطفل اللغة الام (العربية).
٢. يأتي دور المدرسة مكملا لدور الاسرة في تعليم اللغة الفصيحة.
٣. يكتسب الإنسان مهارات لغته الام عبر الاختلاط مع أفراد المجتمع والحوار المباشر مع أفراده والإكثار من القراءة والاطلاع على كتب الأدب واللغة.
٤. لمناهج التعليم وأسلوبه دور محوري في تنمية اللغة وإكساب المتعلم مهارات اللغة

الهوامش:

١- القران الكريم (الحجرات اية ١٣).
٢- سورة البقرة: اية ٣.
٣- سورة العلق: اية ٤.
٤- الخصائص ابن جني: تحقيق محمد علي النجار ج١ ص٣٣.
٥- صحيح البخاري حديث رقم ١٣٨٥ ص ١٤١.
٦- الدور الاجتماعي في تعليم اللغة العربية /عمر الدقاق : بحث كتاب اللغة العربية والتعليم ص,١٨١.
٧- ديوان احمد شوقي: ج٤ ص٢١٢.
٨- الدور الاجتماعي /مصدر سابق ص١٨١.
٩- المصدر نفسه ص١٨١.
١٠- (لفظ الام وتجذر بنيته في لغات البشر) عمر الدقاق بحث في حولية كلية الانسانيالت والعلوم الاجتماعية العدد ١٧ ص٨٦.
١١- البيان والتبيين – الجاحظ: ج١/٩٢. تحقيق عبد السلام هارون.
١٢- المصدر نفسه: ج ١/٩٢.
١٣- المصدر نفسه: ج١/٩٢.
١٤- (لفظ الام وتجذر بنيته) مصدر سابق. ص١٨١.
١٥- المصدر نفسه: ص١٨١.
١٦- المصدر نفسه: ص١٨١.
١٧- البيان والتبيين – مصدر سابق: ج١/٩٢.
١٨- المصدر نفسه: ج١ /٩٢.
١٩- البيان والتبيين،ج١, ص ٩٣.
٢٠- (لفظ الام وتجذر بنيته) مصدر سابق: ص١٨١.
٢١- المصدر نفسه: ص١٨٢.
٢٢- ديوان بشار بن برد: ج١ ص٣٧٧.
٢٣- ديوان شوقي: احمد شوقي: ج٤ ص٢١٤.
٢٤- المصدر نفسه: ص٢١٥.
٢٥- ديوان سليمان العيسى: ص٢١٠.

٢٦- البيئة الاجتماعية في لغة طفل ما قبل المدرسة في مدينة عمان، عمر الدقاق، مجلة جامعة دمشق للآداب مجلد ٢٣,عدد ٢ سنة ٢٠٠٧, ص١٦٤.

٢٧- المصدر نفسه، ص١٦٧.

٢٨- الدور الاجتماعي والاسري في تعليم اللغة العربية، مصدر سابق. ينظر الجزء الرابع من ديوان الشوقيات / احمد شوقي.

٢٩- التحديات التي تواجه اللغة العربية المعاصرة في تعلمها ونعليمها ص٣١٥. من كتاب اللغة العربية والتعليم.

٣٠- تطوير مناهج تدريس اللغة العربية، إبراهيم السعافين، ص٢٠١.

٣١- ديوان الرصافي طبعة دار العودة (بيروت – لبنان):الصفحة: ٢٣١ (ضمن الجزء الأول.طبعة دار الشروق / المطبوعات والتوزيع.

٣٢- دور المؤسسات الإعلامية والاجتماعية في تعليم اللغة العربية، جميل عبد المجيد ص١١٦.

٣٣- الترقيصات والترميمات في اشعار الأمهات, ص٢٠١.

٣٤- المصدر نفسه.

٣٥- استعراض تجربتي الأردن واليمن في تعليم اللغة العربية، ص٤٠٥ نهاد الموسى.

٣٦- مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل ص٩٠.

المصادر:

بعد القران الكريم.

١. صحيح البخاري: حديث رقم (١٣٨٥).

٢. البيان والتبيين: الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون القاهرة. ١٩٦٨.

٣. البيئة الاجتماعية في لغة الطفل ما قبل المدرسة، مدينة عمان, عمر الدقاق بحث مجلة جامعة دمشق للآداب / مجلد ٢٣ ص١٦٤٠ سنة ٢٠٠٧.

٤. الترقيصات والترميمات في اشعار الأمهات، دمشق، دار الفكر ٢٠٠٤.

٥. الدور الاجتماعي في تعليم اللغة العربية، عمر الدقاق، من كتاب اللغة العربية والتعليم مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية/ دبي، ط١, ٢٠٠٨.

٦. ديوان أحمد شوقي. مصر، المطبعة التجارية,١٩٦٤. ف/بيروت.

٧. ديوان بشار بن برد: الطاهر بن عاشور ط٢: دار المعار.

٨. ديوان سليمان العيسى: الكويت ١٩٩٢ ط١.

٩. ديوان الرصافي، طبعة دار العودة.

١٠. لفظ الام وتجذر بنيته في لغات البشر، عمر الدقاق، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر ١٩٦٤.

١٢. وعي اللغة العربية وتمكينها خاضرا ومستقبلا، حسين جمعة ١٠١.

Sources:
١*The Holy Quran.
٢* Sahih al-Bukhari: Hadith No. (1385).
٣* Al-Bayan wa al-Tabyin: Al-Jahiz: Edited by Abd al-Salam Harun, Cairo, 1968.
٤* "The Social Environment in the Language of the Preschool Child, Amman City", Omar Al-Daqqaq – Research published in Damascus University Journal for Arts, Vol. 23, p. 1640, Year 2007.
٥* Dancing Lullabies and Nursery Rhymes in Mothers' Poetry, Damascus: Dar Al-Fikr, 2004.٢
٦* "The Social Role in Teaching the Arabic Language", Omar Al-Daqqaq, from the book The Arabic Language and Education, Emirates Center for Strategic Studies and Research (ECSSR) / Dubai, 1st ed., 2008.
٧* Diwan of Ahmad Shawqi, Egypt: Commercial Press, 1964, F/Beirut.
٨* Diwan of Bashar ibn Burd: Edited by Al-Tahir ibn Ashur, 2nd ed.: Dar Al-Ma'arif.
٩* Diwan of Sulaiman Al-Aissa: Kuwait, 1992, 1st ed.
١٠* "The Term 'Mother' and the Roots of Its Structure in Human Languages", Omar Al-Daqqaq, Annals of the Faculty of Humanities and Social Sciences, Qatar University, 1964.
١١* Arabic Language Awareness and Its Empowerment: Present and Future, Hussain Jumaa, 101.